

سماحة المرجع الشيرازي دام ظلته: صلاح العالم رهين بيان الحق وترك اللعب بالدين

والروايات الشريفة عن أهل البيت (عليهم السلام) لا نرى بعد رتبة ومقام الأنبياء وأهل البيت (عليهم السلام) رتبة أو مقاماً أعلى من رتبة ومقام العلماء وأهل العلم، وهذا ما يتجلى في الرواية التالية:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، فإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به، وإنه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض، حتى الحوت في البحر، وفضل العالم عن العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء».

إذن فيجب أن يكون هناك تناسب بين المسؤولية والمقام لأهل العلم، فالعالم مسؤوليته تعليم الدين للناس، وليس عليه بالضرورة أن يتحقق الهدف من عمله أن يكون الناس متديّنين، فالكثير من الأصحاب الذين عاشوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرجوا بعد رحيله طالحين.

وإنما مسؤولية العلماء وأهل العلم هي إلقاء الحجّة على الناس بتعليم الدين، سواء صلح الناس أو لم يصلحوا، وإلى ذلك يشير البارئ تعالى قائلاً: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ». ومن أبرز مصاديق إلقاء الحجّة على الناس هو: تبيين الحق، واجتناب كتمانته.

وتطرق سماحته إلى نماذج من أهل العلم ممن كتموا الحق فقال: كان أبو يوسف قاضي القضاة في حكومة العباسيين، وفي التاريخ أنه كان يكتُم الحق: ففي الخبر عن مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْبِيلِ وَبَشْرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: إِلَّا أَسْرُكَ يَا بَنَ مَتَّى؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. وَقُمْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: دَخَلَ هَذَا الْفَاسِقُ. وَيَقْصِدُ أَبَا يُوسُفَ. أَنْفَأُ، فَجَلَسَ قِبَالَ أَبِي الْحَسَنِ (عليه السلام)، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَسَنِ مَا تَقُولُ فِي الْمُحْرَمِ أَيْسْتَنْظِلُ عَلَى الْمُحْمَلِ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا. قَالَ: فَيَسْتَنْظِلُ فِي الْخَبَاءِ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ شَبَهَ الْمُسْتَهْزِئِ

ألقي المرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظلته) كالسنين السابقة كلمة مهمة وقيمة يجمع من العلماء والفضلاء وأساتذة الحوزة العلمية والمبلغين من طهران وأصفهان وقم المقدسة، وبحضور جمع من الفضلاء والضيوف من العراق والخليج وسورية، وذلك يوم الأربعاء الموافق للربيع والعشرين من شهر ذي الحجّة الحرام ١٤٣١ للهجرة في بيته المكرّم بمدينة قم المقدسة، جاء فيها:

ذكر المرحوم العلامة المجلسي قدس سرّه في البحار في كتاب الصلاة أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان يدعو الله تعالى قائلاً: «اللهم وأعد أوليائك من الافتتان بي، وفتنهم برحمتك لرحمتك في نعمتك تفتين الاجتباء والاستخلاص بسلك طريقتي وأتباع منهجي».

وقال سماحته: هذا الدعاء مقتطفاً من دعاء للإمام الحسين (عليه السلام) ويجدر بالمؤمنين أن يقرأوا الدعاء كلّهم ويتأملوا ويتدبروا في مضامينه ومفاهيمه.

أما دلالة كلامه (عليه السلام) فهي: إلهي بعد أوليائك من الافتتان بي وذلك بأن يسيروا على طريقتي ويتبعوا منهجي وعملي، في بيان الحق وعدم كتمانته، ومقارعة الظالمين والجهاد ضد الطواغيت.

وقال سماحته: إن من أهم الأمور لأهل العلم، سواء كانوا وعاظلاً أو خطباء أو مبلغين أو أساتذة أو غير ذلك، هو أن يعلموا جيداً بأن عملهم يختلف عن عمل باقي الناس كالكسبية أو الموظفين وغيرهم، فعمل أهل العلم هو تعليم الناس الدين، وسائر الناس يتعلمون العلوم الدنيوية من أهلها، كأن يتعلموا الهندسة مثلاً من أهل الهندسة، أما الدين فإن الناس يأخذونه ويتعلمونه من أهل العلم، ومن أبرز مصاديق تعليم الدين وأهمها: تبيين الحق واجتناب كتمانته.

وهذا الأمر يضاعف مسؤولية العلماء وأهل العلم، لأن العلماء إذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس وفسد دينهم. وأضاف سماحته قائلاً: من مجموع الآيات الكريمة في القرآن الكريم



وعقب سماحته متسائلاً: لماذا لم يعترض أولئك النفر الإثنا عشر على فعل عثمان، وسكتوا؟ ولماذا لم يقولوا له قبل مجيء الإمام عليّ (عليه السلام) بأن هذا العمل منك خلاف عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

أليس أن سكوتهم وعدم اعتراضهم على عثمان لعباً بالدين؟ حيث أقروا عمله وتركوا ما كان يعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وأشار سماحته إلى دور العالم وخطورة هذا الدور وقال: إن مثل العالم كمثل المقاتل الذي يكون على قمة الجبل، فهو يتمكن بكل سهولة أن يدفع عن نفسه الضرر والأذى الذي يتمثل بالعدو الصاعد إليه، ولكن إذا انزلت رجليه فإنه سيسقط من قمة الجبل وتتكرر وتتلاشى أعضاؤه وربما لا يبقى أثر من جسمه. فقمة الجبل بالنسبة لأهل العلم هي مقام العلم.

وفي سياق كلمته تطرّق سماحته إلى قضية الإمام الحسين (عليه السلام) وقال: إن الله سبحانه وتعالى جعل قضية الإمام الحسين (عليه السلام) قضية استثنائية، ومن خلال هذه القضية الحسينية المقدسة يدخل الناس الجنة سريعاً، وبسببها أيضاً يدخلون النار سريعاً والعياذ بالله، وهذا يصدق على أهل العلم أيضاً. فهم يبتلون بمسائل وأمور كثيرة على طول السنة، ولكن من أهم موارد الابتلاءات التي تواجههم في شهري محرم وصفر ويمتحنون بها هي قضية الإمام الحسين (عليه السلام).

وقال سماحته: إن الكثير من المؤمنين والمؤمنات قتلوا من أجل القضية الحسينية المقدسة على مر التاريخ، خاصة في زمن بني أمية وبني العباس، فإلى قبل قرن تقريباً كان القتل والتعذيب والسجن ومصادرة الأموال والأملك مصير كل من يشترك بعزاء الإمام الحسين (عليه السلام) أو من يذهب إلى زيارته، وحتى من كان يسمي ولده حسيناً كان يتعرض للسجن والقتل.

ومع كل هذه المظالم التي تعرض لها زوّار الإمام الحسين (عليه السلام) ومحبوها أهل البيت (عليهم السلام) التي يقول عنها بعض السذج من الناس بإنها إلقاء النفس في التهلكة وأن القرآن ينهى عن ذلك - لم يمه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) شيعةهم وأتباعهم

يضحك، فقال: يَا أَبَا الْحَسَنِ فَمَا فَرَّقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا؟ فَقَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ إِنَّ الدِّينَ لَيْسَ بِقِيَاسِ كِتَابِيَاكُمْ، أَنْتُمْ تَلْعَبُونَ بِالدِّينِ، إِنَّا صَنَعْنَا كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) وَقُلْنَا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله). كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) يَرْكَبُ رَاكِبَهُ فَلَا يَسْتَنْظِلُ عَلَيْهَا، وَتُوذِيهِ الشَّمْسُ فَيَسْتُرُّ جَسَدَهُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَرَبْمَا سَتَرَ وَجْهَهُ بِيَدِهِ، وَإِذَا نَزَلَ اسْتَنْظَلَ بِالْخَبَاءِ وَفِيءِ الْبَيْتِ وَفِيءِ الْجِدَارِ.

وعقب سماحته: لم يكن من أخلاق أهل البيت (عليهم السلام) مواجهة خصومهم بحدّة أو بكلام غليظ إلا في بعض المواقف التي كانت تتطلب ذلك، ومنها قول الإمام الكاظم (عليه السلام) تجاه ما صدر من أبي يوسف، فأبو يوسف لم يكن إنساناً كسائر الناس بل كان صاحب علم بالدين وكان الناس وبأمر العباسيين يأخذون دينهم منه، ولذلك قال له الإمام الكاظم (عليه السلام): أنتم تلعبون بالدين، وذلك ليبين (عليه السلام) له

ولغيره مدى خطورة أن يلعب أهل العلم بالدين.

فإن السلاطين الظلمة - كشداد أو فروع - لا يقدرّون على اللعب بالدين، وكذا بقية الناس كالتجار مثلاً، أما رجل الدين والعالم فإنه يستطيع أن يلعب بالدين أويجتنب بيان الحق ويلزم الصمت.

كما ذكر سماحته نموذجاً آخر على الذين لعبوا بالدين وقال:

«رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ الْهَاشِمِيُّ أَنَّهُ اصْطَادَ أَهْلَ الْمَاءِ حَجَلًا فَطَلَبُوهُ وَقَدَّمُوا إِلَى عُمَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَأَمْسَكُوا فَقَالَ عُمَانُ: صَيْدٌ لَمْ نَصِدْهُ وَلَمْ نَأْمُرْ بِصَيْدِهِ، اصْطَادَهُ قَوْمٌ حَلٌّ، فَأَطْعَمُونَاهُ فَمَا بِهِ بَأْسٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) يَكْرَهُ هَذَا. فَبَعَثَ إِلَى عَلِيٍّ (عليه السلام) فَجَاءَ وَهُوَ غَضَبَانٌ مَلْطَخٌ يَدِيهِ بِالْخَبِيطِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ عُمَانَ: إِنَّكَ لَكَثِيرُ الْخَلَافِ عَلَيْنَا. فَقَالَ (عليه السلام): أَذْكَرُ اللَّهُ مَنْ شَهِدَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) أَنِّي بَعْجَزٌ حَمَارٌ وَحَشِيٌّ وَهُوَ مَحْرَمٌ، فَقَالَ (صلى الله عليه وآله): إِنَّا مَحْرُومُونَ فَأَطْعَمُوهُ أَهْلَ الْحَلِّ. فَشَهِدَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ. ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): أَذْكَرُ اللَّهُ رَجُلًا شَهِدَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله) أَنِّي بِخَمْسِ بَيْضَاتٍ مِنَ بَيْضِ النَّعَامِ، فَقَالَ: إِنَّا مَحْرُومُونَ فَأَطْعَمُوهُ أَهْلَ الْحَلِّ، فَشَهِدَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ، فَتَمَّ عُمَانُ وَدَخَلَ فُسْطَاطَهُ وَتَرَكَ الطَّعَامَ عَلَى أَهْلِ الْمَاءِ.»

كَانَتْ لَنَا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوِدُّكَ تِلْكَ الْأَنْفُسَ وَ تِلْكَ الْأَبْدَانَ حَتَّى تُؤَافِيَهُمْ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ» .

وأردف سماحته قائلاً: أقول - وليس من باب الفتيا :-

يستفاد من هذه الرواية وغيرها من الروايات الشريفة - وهي كثيرة - أن الدعاء لزوار الإمام الحسين عليه السلام من المستحبات، مطلقاً أو في خصوص الصلوات، لأن عمل المعصوم حجة .

وأكد عليه السلام: إن مسؤولية أهل العلم خاصة في شهري محرم وصفر أن يلتزموا بنهج الإمام الحسين عليه السلام في تبيين الحق واجتناب كتمان الحق، كل حسب قدرته وطاقاته، وعليهم أن يحذروا من اللعب بالدين، وهذا الأمر بأيديهم. ففي شهر محرم وشهر صفر على أهل العلم أن يتوسلوا إلى الله تعالى ويطلبوا منه التوفيق في العمل على تبيين الحق وترك كتمانهم، وأن يطلبوا من الإمام الحسين عليه السلام ومن الإمام المهدي عليه السلام أن تشملهم رعايتهما بأن يوفقوا للعمل على تبيين الحق وعدم كتمانهم، وأن يكونوا كأبي ذر الغفاري الذي بين الحق ولم يكتمه فكفنه ذلك أن نفي ومات من الجوع، حيث لم يكن عنده حتى قرص واحد من الخبز.

أما غير أبي ذر كزيد بن ثابت فقد خلف بعد موته الكثير والكثير من الأموال والأموال والذهب بحيث كسروه بالفؤوس وذلك لأنه كتم الحق بعدم نصرته مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام عندما دعت عليها السلام إلى نصرتها بعد أحداث السقيفة. إن أباذر عاش فقيراً ومات جاعاً ليس لأنه كان يصلي أو لأنه كان يبكي في صلاة الليل أو لأنه كان يصوم، بل إن سبب نفيه عن بلده وعيشه فقيراً وموته من الجوع هو لأنه لم يكتم الحق. فهنيئاً لمن يكون كأبي ذر.

وختم المرجع الشيرازي عليه السلام كلمته بقوله: أسأل الله تعالى ببركة مولانا الإمام المهدي عليه السلام أن يوفقنا للعمل بمسؤوليتنا بالأخص في شهري محرم وصفر وأن نتحمل المشاكل في ذلك ونصبر على المصاعب.

ومحبيتهم عن إحياء القضية الحسينية أو عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل كانوا عليهم السلام يقرؤون ذلك، وكانوا يدعون الله تعالى في صلواتهم وسجودهم بأن يمن بالرحمة وبالجزاء الجميل وبالأجر العظيم على زائري الإمام سيد الشهداء عليه السلام والذين يحيون القضية الحسينية المقدسة، ومما روي في ذلك:

«عن الأصم عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالحي. فقال: يا ابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وأمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفرغ الناس ولا يفرغ، فإن فرغ وقبرته وقوته الملائكة وسكنت قلبه بالبشارة» .

و«عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فقيل لي ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاة، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه وهو يقول: يا من خصنا بالكرامة، وخصنا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفتدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي وإلخواني ولزوار قبر أبي الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنا بالرضوان، وأكلاهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم، وأكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك أو شديد وشر شياطين الجن والإنس، وأعطهم أفضل ما أملا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما أثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخص إلينا وخلافاً منهم على من خالفنا، فأرحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس، وأرحم تلك الخدود التي تقلبت على حضرة أبي عبد الله عليه السلام، وأرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وأرحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وأرحم الصرخة التي

